بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: **الأستاذ الدكتور الدكتور عبد الجليل قريان**

الرتبة العلمية: **أستاذ التعليم العالي**

الجامعة: **جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة**

البريد الاليكتروني" gueriane_adjalil@yahoo.fr

.-

"ملتقى النقد في التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي"

28-29 أفريل 2024م

عنوان المداخلة:

"أبو حيان الأندلسي ونقده الفلسفة اليونانية من خلال تفسيره البحر المحيط"

Title of the intervention :

"Abu Hayyan Al-Andalusi and his criticism of Greek philosophy through his interpretation of the "Albahr Al Mohit

الملخص:

يعتبر أبو حيان الأندلسي(654-745هـ) من العلماء الكبار الذين نالوا شهرة واسعة في المشرق والمغرب قديما وحديثا لما أثرى به المكتبة الإسلامية من مؤلفات متنوعة، وما اختص به في الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية، وكان من أهم مؤلفاته " البحر المحيط في التفسير" الذي عده كثير من العلماء اسما على مسمى، وقمينا بهذا الوصف لما يحويه من مباحث جليلة، وما يختزنه من دقائق نفيسة، ولا يزال هذا التفسير محل عناية من قبل العلماء والباحثين في عصرنا، ينهلون من معينه ويرتوون من زلاله.

وقد تناول أبو حيان في تفسيره بعض رؤيته للفلسفة في سياق تفسيره لبعض من الآيات الكريمة، وكان نقده لها لاذعا بحيث جعلها قرينة الكفر ومنتحليها أشد على الإسلام من اليهود والنصارى.

والإشكال الذي ترومه هذه الورقه يتمحور حول منطلقات رؤية أبي حيان الأندلسي للفلسفة، ونقده اللاذع لها ولمنتحليها من العلماء، أو من المفسرين الذين سبقوه وعلى رأسهم الفخر الرازي (ت606هـ)؟ وما هي الشواهد التي حررها حولها في تفسيره البحر المحيط؟ وكيف تكونت لديه هذه الرؤية؟ وما هي خلفيته تجاهها؟ وهل كان مستقلا في رأيه أو تابعا لغيره؟

في هذه الورقة نحاول الإجابة على كل هذه الأسئلة، ونعرج في سياقها إلى تتبع موضوعات الفلسفة وما كانت تحويه قبل أبي حيان وما أصبحت عليه موضوعاتها في زمنه، وهل كان لأبي حيان مشاركة فيها شكلت رأيه فيها؟، وهل كان في تفسيره ناقدا حقا للفلسفة ولطروحاتها ومفندا لها ومصححا مستدركا لأخطائها ومزالقها؟، أم أن رأيه فيها من وحي الثقافة الفقهائية التي كانت مترسخة في أعماقه منذ أن كان شابا وفارا من الأندلس بسببها، وزادت رسوخا في ذهنه بالمشرق في المناخ الذي صار إليه.

الكلمات المفتاحية: أابو حيان الأندلسي- النقد الفلسفي- المنطلقات الرؤية- الثقافة الفقهائية.

Abstract :

Abu Hayyan Al-Andalusi (654-745 AH) is considered one of the greatest scholars who achieved an immense fame in the East and the West, both past and present ;because he enriched and enhanced the Islamic library with various and numerous books , besides in What he specialized in such as Quranic, linguistic and grammatical studies, the aptly named “Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir” was one of his most important books, and even many scholars considered and acknowledged that, this keystone is worthy of this description because of the great topics it contains, and the precious details it stores, this interpretation is still being considered by scholars and researchers until nowadays,they took a huge adnatages and benefits from it. In his interpretation, Abu Hayyan addressed some of his perception on philosophy in the context of his interpretation of some of the holy verses of Quran ; his criticism of them was harsh, to the point that he made the presumption of disbelief and its imitators more severe against Islam than the Jews and Christians.

The problematical thing that this paper addresses revolves around the starting points of Abu Hayyan Al-Andalusi’s perception and understandindg of philosophy, and his harsh criticism of it and its supporters impersonators

among the scholars, or among the commentators who preceded him, led by Al-Fakhr Al-Razi (d. 606 AH)? What is the evidence that he included in his interpretation of Al-Bahr Al-Muhit? How did he have this perveption? What is his background towards her? Was he independent in his opinion or influenced by others?

In this paper we will try to answer all these questions, In its context, and we will underline the topics of philosophy, what they contained before Abu Hayyan, and what their topics became in his time. Did Abu Hayyan participate in it that formed his opinion about it? And was he, in his interpretation, truly critical of philosophy and its propositions disproving, as well as correcting its mistakes and pitfalls? Or is his opinion on it inspired and influenced by the jurisprudential culture that was deeply rooted in him since he was a young man and then he fled from Andalusia because of it. It became more firmly settled in his mind later in the East where he had become.

Keywords: Abu Hayyan Al-Andalusi - philosophical criticism - visionary principles - jurisprudential culture.

أولا– التعريف بأبي حيان الأندلسي:

1- **الاسم والمنتسب:** هو أثير الدين محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي[1] النفزي[2] البربري الجيَّاني الغرناطي(ولد بضاحية غرناطة سنة 654هـ وتوفي بالقاهرة سنة 745هـ)، ولا تسعفنا المصادر في التعرف على ابيه أو أجداده.

[1] ترجم له معاصره وتلميذه الصفدي(ت 764هـ) في أعيان العصر ج5، ص 325 -353، رقم الترجمة 1831 ترجمة ضافية ومهمة جدا. وفي الوافي بالوفيات، ج5، ص 175- 186، ترجمة رقم 2347. وفي نكت الهميان، المطبعة الجمالية بمصر، 1329هـ/1911م، ص 280-286 . كما ترجم له تلميذه السبكي(ت 771هـ)، طبقات الشافعية ، ج9، ص 276 رقم 1336 ترجمة حافلة. ابن الخطيب لسان الدين(ت 776هـ)، الاحاطة، ج3، ص 43. محمد بن شاكر الكتبي(ت 764هـ)، فوات الوفيات، ج4، ص 71. ابن حجر(ت 852هـ)، الدرر الكامنة ج4، ص 302 ترجمة رقم 832 ترجمة ضافية. ابن تغري بردي(ت 874هـ)، النجوم الزاهرة، ج10، ص 91. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج11، ص 161. السيوطي(ت

2-نشأته العلمية:

بعد تتبع دراسته يمكننا التأكيد بأن أبا حيان الأندلسي كانت له مرحلتان تعليميتان،

المرحلة الأولى: وهي الأساسية، وكانت في الأندلس بمدينة غرناطة، حيث درس بها كل ما يتعلق بقراءة القرآن الكريم بالروايات، والحديث النبوي الشريف، واللغة العربية، والنحو[3]، فكان شيخه الأول في غرناطة الأستاذ أبو جعفر بن الزبير الذي لازمه وانتسب إليه وأثر فيه تأثيرا كبيرا، حيث كان يشيد به في المشرق إشادة كبيرة، ولما بلغه نعيه صلى عليه بالقاهرة، وكانت له إليه مخاطبات كثيرة[4]، كما درس بغرناطة القراءات على كل من الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة إفرادا وجمعا[5]، ثم على الخطيب الحافظ ابي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة[6]، وثم قرأ القراءات السبعة على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمدينة مالقة [7]، وسمع بها كذلك على أبي عبد الله محمد بن عباس القرطبي[8] ، كما قرأ على الكثير منهم في الاندلس في كل من بلش وألمرية[9] لم يسجلهم في نص إجازته إلى تلميذه الصفدي[10]، ولكنه ذكر ما تلقاه عنهم، وقد أشاد ابو حيان بالنشاط العلمي الزاخر الذي كان بالأندلس، كما أشاد بعلمائها وأشار إلى همته العالية في التحصيل على أيديهم"[11].

911هـ): حسن المحاضرة، ج1، ص534. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 280 ترجمة رقم 516. الداودي(ت 945هـ)، طبقات المفسرين، ج2، ص 287 ترجمة رقم 608. المقري(1041هـ)، نفح الطيب، ج2، ص 535 ترجمة ضافية منقولة من أعيان العصر للصفدي وغيرها من مصادر مختلفة.

[2] ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 43 . الصفدي، نكت الهميان، ص 280. ونفزة قبيلة بربرية من المغرب كانت تقطن نواحي برقة والتي عبر كثير من أبنائها إلى الاندلس في فترات مختلفة. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 280.

[3] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 277.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 43

[5] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 330. المقري، نفح الطيب، ج2، ص 540.

[6] ابو حيان، البحر المحيط، ج1، ص 16. الصفدي، أعيان العصر ، ج5، ص 330.

[7] الصفدي، أعيان العصر ، ج5، ص 330..

[8] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[9] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 560.

[10] ا لصفدي ، أعيان العصر ،ج 5، ص 330.

[11] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص 11.

ملاحظة هامة : يبدو أن محققي كتاب ديوان ابي حيان الاندلسي لم ينتبهوا إلى أن هذا النص الذي ذكره ابو حيان في مقدمة تفسيره البحر المحيط كان يخص به الأندلس وليس مصر، بينما أوردت المحققة خديجة الحديثي هذا النص في سياق حديثها عن

والمرحلة الثانية: مكملة أو متممة لما درسه بالأندلس عندما رحل نحو المشرق قبل 680هـ[12]، أي في سنة 679هـ[13] وسِنُّه حوالي 24 سنة، وعادة ما يكون التلميذ في هذه السن مستكملا للدراسة ولكنه كان له شغف علمي كبير، فكانت رحلته مارا بمدينة بجاية التي سمع بها عن أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني[14]، وتونس حيث سمع بها عن ابي محمد عبد الله بن هارون وغيره من علمائها[15]، وفي المشرق وجد جوا علميا زاخرا أغراه باستكمال الدراسة والتعمق في مختلف العلوم التي درسها في الأندلس والتعرض للمشيخة بها فدخل الاسكندرية ودرس القراءات على عبد الوهاب بن حسن بن الفرات[16]، ثم توجه نحو مصر (القاهرة) وأخذ يدرس على طائفة من علمائها في كل من القراءات والحديث والنحو[17] والأدب[18] ، واستمر في دراسة النحو خاصة إلى سنة 688هـ وقد جاوز سنه الاربع والثلاثين[19]، كما رحل إلى كل من الحجاز(مكة) والعراق والشام وأخذ عن شيوخها، وكان تعداد مشايخه بالأندلس والمشرق نحوا من 450 شيخا[20] ، وتمت إجازته من قبل الكثير من العلماء، في كل من غرناطة، ومالقة، وسبتة، والإسكندرية والقاهرة والشام والحجاز والعراق[21]، وكان شديد الاهتمام بالدراسة حتى أن تلميذه الصفدي لاحظ ذلك فيه وقال عنه بأنه :" اجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة"[22] وبقيت هذه الحال ديدنه عندما صار

وصوله إلى مصر وما وصف به حاله بها، انظر ديوان ابي حيان الأندلسي، تحقيق أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1388هـ/ 1969م، ص 13.

[12] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 277.

[13] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 304. المقري، نفح الطيب، ج2، ص 563، 584.

[14] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[15] الإحاطة، ج 3 ص 44. الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 330. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[16] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[17] الاحاطة، ج 3 ص 44-45.

[18] ابن حجر، الدرر الكامنة، 4، ص 303. الصفدي، نكت الهميان، ص 281.

[19] الاحاطة، ج 3 ص 45.

[20] هذا العدد 450 شيخا هو ما كتبه ابو حيان في إجازته لتلميذه الصفدي، انظر ،الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 345. ونقل عنه كل من ابن حجر، في الدرر الكامنة، ج4، ص 303. والمقري في نفح الطيب، ج2، ص 552.

[21] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 330، 343، 346.

[22] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 330.

شيخا له وقال عنه:" فلم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه لأني لم أره قط إلا يُسمع أو يشتغل أو يكتب، ولم أره على غير ذلك"[23] .

3-تخصصه :

درس أبو حيان مجموعة من العلوم، وبرز في التفسير والقراءات والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم وخاصة المغاربة[24]، والعربية وأصول الفقه[25]، ودرس أشياء من أصول الدين وشيئا من المنطق ولم يكن له توجه نحو الفلسفة [26]؛ لكن العلم الذي تخصص فيه وتمرس في دراسته وتدريسه هو علم النحو، ويعترف ابو حيان بكفاءته في هذا التخصص وميله إليه وبأنه ملك عليه جوانحه، فمن قصائده التي يؤكد من خلالها تخصصه في علم النحو، وهي من قصائده المطولة أولها[27]:

غُذِيتُ بعلم النَحو إِذ دَرَّ لي ثَديا *** فَجسمي بِهِ ينمى وَروحي بِهِ تَحيا

وَقَد طالَ تَضرابي لزيدٍ وَعَمرِهِ *** وَما اِقتَرَفا ذَنباً وَلا تَبعا غَيّا

وَما نِلتُ مِن ضَربيهما غَيرَ شُهرةٍ *** بِفَنٍ وَما يُجدي اِشتهاري بِهِ شَيّا

أَلا إِنَّ علمَ النَحو قَد بادَ أَهلُهُ *** فَما أَن تَرى في الحَي مِن بَعدهم حَيّا

سَأتركه تَركَ الغَزالِ لظله *** وَأُتبِعُه هَجراً وَأُوسِعُه نَأيا

ومما جاء في إحدى قصائده التي ينوه فيها بالنحو ويمدح أعمدته وأقطابه مثل الخليل بن احمد وسيبويه قوله[28]:.

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده *** لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وما فضل الإنسان إلا بعلمه *** وما امتاز إلا ثاقب الذهن واقده

وقد قصرت أعمارنا وعلومنا *** يطول علينا حصرها ونكابده

---

[23] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 330. الصفدي، نكت الهميان، ص 280. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 306.

[24] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 331.

[25] درس أصول الفقه من الإشارة للباجي والمستصفى للغزالي، انظر، الصفدي، أعيان العصر، ج5، 333.

[26] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 332-333. الصفدي،نكت الهميان ص 280.

[27] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 287. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص306 ورد فيه الشطر الاول فقط. ديوان ابي حيان الاندلسي، ص 484.

[28] قصيدة جيدة تحوي مائة وخمس(105) بيت، ونظرا لنفاسة هذه القصيدة أثبتها لسان الدين بن الخطيب كاملة في الإحاطة ج3، ص 50- 56، ، وقد ذكر في آخرها شيخه ابا الزبير.

وفي كلها خير ولكن أصلها * هو النحو فاحذر من جهول يعانده**

به يعرف القرآن والسنة التي * هما أصل دين الله ذو أنت عابده**

وناهيك من علم علي مشيد * مبانيه أعزز بالذي هو شائده**

كما يعترف له تلاميذه بتخصصه في علم النحو، فتلميذه الصفدي يحليه بأنه بـ" أمير المؤمنين في النحو، والشمس السافرة شتاء في يوم الصحو، والمتصرف في هذا العلم، فإليه الاثبات والمحو،[29] وهو "الإمام العالم العلامة أمير المؤمنين في النحو، وإمام النحاة في عصره شرقا وغربا، وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا"[30]، ويؤكد بأنه تبوأ في علم النحو مرتبة لم يصلها أحد من معاصريه[31]، ومدحه ببيتين جاء فيهما:

سلطان علم النحو أستاذنا***الشيخ أثير الدين حَبْرُ الأنام

فلا تقل زيد وعمرو فما *** في النحو معه لسواه كلام[32]

وأشار الصفدي بأن أبا حيان هو الذي جسَّر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى، ورغبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها، وخاض بهم لججها، وفتح لهم مقفلها، وكان يقول عن "مقدمة ابن الحاجب"[33]: هذه نحو الفقهاء"[34].

كما وصفه تلميذه السبكي[35] مؤكدا تخصصه في النحو ومركزا عليه دون غيره من العلوم الاخرى فقال عنه بأنه" شيخ النحاة، العلم الفرد، والبحر الذي لم يعرف الجزر، بل المد، سيبويه الزمان، والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء"[36].

أما تلميذه ابن مرزوق الخطيب التلمساني الذي تتلمذ عليه في القاهرة، ويعتبر من المتخصصين في الحديث، فقد أكد تخصصه في النحو مع تبريزه في بعض العلوم الاخرى ويعتبره "شيخ النحاة بالديار المصرية، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية، انتهت إليه رئاسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث"[37].

---

[29] الصفدي أعيان العصر، ج5، ص325.

[30] الصفدي أعيان العصر، ج5، ص 327.

[31] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 331.

[32] الصفدي أعيان العصر، ج5، ص 327.

[33] وهي المعروفة بالكافية في النحو

[34] الصفدي، أعيان العصر ، ج5، ص 332. الصفدي،نكت الهميان، ص 280.

[35] تتلمذ السبكي على ابي حيان بإشارة من والده سنة 742 بمدينة القاهرة ويقول عنه شيخنا وأستاذنا أبو حيان، انظر، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 276، 278.

[36] ، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 276

[37] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 535.

أما المؤرخون له من معاصريه أو من جاء بعدهم فيتفقون على تميزه في علم النحو، وإن أثبتوا له مكانته في غيره من العلوم، فلسان الدين بن الخطيب يؤكد اضطلاعه بعلم العربية والتفسير والرواية، إلا أنه يصفه بأنه:" إمام النحاة في زمانه غير مدافع"[38]، وهي شهادة لها وزنها من علم من أعلام العربية المرموقين. كما وصفه ابن حجر العسقلاني نقلا عن الصفدي بأنه الامام المطلق في النحو والتصريف وخدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره[39]. وقال عنه ابن تغري بردي بأنه برع في النحو والتصريف وصار فيهما إمام عصره[40]. وتعرض السيوطي لمؤلفات أبي حيان وذكر منها مطول الارتشاف ومختصره، مجلدان- واكد بأنه لم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين،[41]. كما ترجم له المقري في نفح الطيب ووصفه بإمام النحاة[42].

فهذا إجماع على تخصصه في علم النحو وإن كان له باع في غيره من العلوم.

4- علاقته بالفلسفة والعلوم العقلية وسبب رحلته إلى المشرق:

تشير كثير من النصوص التاريخية أن البيئة الثقافية التي نشأ فيها ابو حيان الاندلسي كانت متوجسة من الفلسفة متخوفة منها، دائمة الانكار عليها، معادية لها[43]، ونتيجة لذلك لم يكن له اهتمام بالفلسفة بل قيل فيه بأنه كان خاليا منها[44] في إشارة إلى أنها كانت تمثل خطورة واضحة على عقائد الطلبة والتلاميذ والعلماء، ومن ثم فإنهم يبادرون إلى التبرإ منها ومن دراستها. وفي نص فريد لأبي حيان يحمل دلالات نفسية واجتماعية عميقة في تبيان صورة الفلسفة والمنطق في الذهنية الثقافية الأندلسية جاء فيه:" ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك أحد، تعجبت من ذلك إذ كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والإنكار له"[45]،

وتعدت هذه الرؤية القاتمة والمعادية إلى المنطق باعتباره من موضوعاتها، ورغم أن ابا حيان درس شيئا من المنطق[46] إلا أن ذلك كان في بداية تتلمذه على شيخه الاول، ثم دخل في المناخ العام ولم يكمل

---

[38] الاحاطة، ج3، ص 43.

[39] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 303.

[40] ابن تغري بردي(ت 874هـ)، النجوم الزاهرة، ج10، ص 91.

[41] السيوطي، بغية الوعاة ج1، ص 282.

[42] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 535.

[43] انظر العنصر أسفله

[44] الصفدي أعيان العصر، ج5 ص 332-333.ابن خحر، الدرر الكامنة، ج4، ص 308.

[45] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 47.

[46] الصفدي أعيان العصر، ج5 ص 332-333.

دراسته، نظرا للإنكار على من يدرسه، او يفكر في تعاطيه، ووصلت حدود نبذ المنطق ومحاربته إلى الحد الذي لم يكن يتجاسر عِلِّيَةُ القوم على التلفظ به كمصطلح في الاحاديث العامة خوفا من أن تلتصق بهم إدانة تتهمهم في عقيدتهم والخروج عن الملة[47]، وأكد ابو حيان ذلك بأنه إذا بيع كتاب في المنطق إنما يباع خفية، وإنه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق، حتى أن صاحبه وزير الملك ابن الأحمر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب إليه كتابا من الأندلس يسأله أن يشتري أو يستنسخ كتابا لبعض شيوخه في المنطق فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه في كتابه له "بالمفعل"[48].

وأفصح أبو حيان عن السبب الذي قوى عزمه على الرحلة من غرناطة باتجاه المشرق سنة 679هـ أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضيات والطبيعة أشار على السلطان الغرناطي ترتيب طلبة ليعلمهم هذه العلوم وينتفعوا بها من بعده، فأشير على أبي حيان أن يكون منهم، ورتب له راتب جيد، وكسوة وإحسان؛ فتمنَّع، وسارع بالرحلة الى المشرق مخافة أن يكره على ذلك ويدرسها، لأنها كانت في نظره من العلوم المنبوذة التي لا ينبغي لطالب العلم أن يتعلمها[49]، لأنها سبيل إلى الكفر والإلحاد[50]، وبقيت هذه الصورة منقوشة في ذهنه، وظهرت آثارها في تفسيره كما سنعرضه أدناه.

كما ان المصادر التي ترجمت له لم تذكر بأنه درس علوم الحساب او الهندسة او الطب او الفلك، وحول علم الفلك فإن ابا حيان يؤكد بأنه عِلْمٌ لم يدرسه، وأفصح عن ذلك بعد أن اطلع على ما كتبه الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾[51]، وأشار بأن الرازي "قال كلاما كثيرا هو من علم الهيئة، **وهو علم لم ننظر فيه**"، ولكنه عقب عليه بما يفيد استحسانه لهذا العلم

---

[47] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 47.

[48] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 47.

[49] السيوطي(ت911هـ)، بغية الوعاة، ج1، ص 281. وقد أورد السيوطي بأنه قرأ ذلك في كتاب لأبي حيان بعنوان النضار . وقال عنه السيوطي في بغية الوعاة، نقلا عن الأدفوي ج1، ص 282 بأنه كان سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم. ومن جانب آخر أورد ابن الخطيب لسان الدين(ت776هـ) أن سبب رحلته إلى المشرق نفرة حدثت بينه وبين شيخه الذي شكاه إلى السلطان فاختفى ثم فر إلى المشرق، ونقل ابن حجر نص ابن الخطيب في الدرر الكامنة، ج4، ص 304، لكن السيوطي يؤكد أنه قرأ كتاب أبي حيان "النضار في المسلاة عن نضار" وفيه يشير إلى سبب سفره كما في المتن، انظر، بغية الوعاة ج1، ص 252. الداودي(ت945هـ)، طبقات المفسرين ج2، ص 289 . ابن العماد الحنبلي(ت 1089هـ)، شذرات الذهب، ج6، ص 146.

[50] ابو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 425.

[51] سورة الاعراف آية 54. انظر التفسير الكبير، ج 14، ص124-128.

وأوضح بأنه علم شريف يطلع فيه على جزئيات غريبة من صنعة الله تعالى، يزداد بها إيمان المؤمن، إذ المعرفة بجزئيات الاشياء وتفاصيلها ليست كالمعرفة بجمليتها[52] .

وعندما قدم إلى مصر واستقر بها كان حريصا على أن يقدم نصيحة إلى أهله ضمنها كثيرا من الآداب السلوكية والعلمية والنفسية ومنها أن يتركوا الخوض في علم الأوائل(الفلسفية والعقلية) وأن يجعلوا اشتغالهم بعلوم الشريعة، وقد كان منسجما مع ما ترسخ في ثقافته وذهنه حول علوم الفلسفة والعقلية فلم يكن له أي تأليف فيها.

5- تأليفه:

جمع أبو حيان في تكوينه بين مناهج المدرسة الأندلسية والمشرقية، وهذا التلاقح الفكري جعله ينتقل من المذهب الظاهري في الاندلس إلى المذهب الشافعي في مصر[53]، رغم اعترافه بصعوبة هذا التحول[54]، ومكنه من الانفتاح على المخزون العلمي المشرقي وعلى استيعاب ثقافة عصره وتوسيع مداركه واتساع آفاق رؤيته ونضج أفكاره في حقل دراسات العلوم النحوية والعربية وعلوم القراءات وما يتعلق بهما، واستطاع أن يسهم في التأليف ويترك بصمته في هذين التخصصين بمؤلفات شكلت إضافة حقيقية ونوعية اعترف لها اساطين العلماء، وتكفي شهادة تلميذه الصفدي الذي نوه بتصانيفه التي انتشرت وما انتشرت، وأخملت كتب الأقدمين[55]، وأكد ابن حجر أن تآليفه اشتهرت في حياته وسارت في آفاق الارض[56].

بدأ أبو حيان الأندلسي التأليف في مصر عندما حل بها قادما من الأندلس التي روته من معين علمائها كما مر أعلاه، وفي مصر كان يشعر بأنه كما جاءها ليستفيد منها، جاءها ليفيض عليها من علومه ومعارفه وأشار إلى ذلك بقوله:" فَأَقَمْتُ بِهَا لِمَعْرِفَةٍ أُبْدِيهَا، وَعَارِفَةِ عِلْمٍ أُسْدِيهَا، وَثَأْيٍ أَرَأَبُهُ، وَفَاضِلٍ أَصْحَبُهُ، وَبِهَا صَنَّفْتُ تَصَانِيفِي، وَأَلَّفْتُ تَآلِيفِي، وَمِنْ بَرَكَاتِهَا عَلَيَّ تَصْنِيفِي لِهَذَا الْكِتَابِ، الْمُقَرِّبِ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَاب"[57].

ومن المؤلفات التي كانت وراء شهرته في علوم النحو كتابه مطول الارتشاف ومختصره، مجلدان، فقد تعرض السيوطي لها وأكد بأنه لم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف

---

[52] ابو حيان، البحر المحيط ج4، ص 310.

[53] الصفدي، اعيان العصر، ج5، ص 332. الصفدي ، نكت الهميان، ص 281.

[54] كان أبو حيان يقول:" محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه"، انظر، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4، ص 304.

[55] الصفدي، اعيان العصر، ج5، ص 331. انظر كذلك ، السبيكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 279.

[56] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4، ص 303.

[57] أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص 11.

والأحوال، وعليهما اعتمد في تأليفه كتابه جمع الجوامع، ثم تحدث عن كتابه التذكرة في العربية أربع مجلدات كبار وقف عليها السيوطي وانتقى منها كثيرا[58].

ومجموع ما ألفه أبو حيان أورده في نص إجازته لتلميذه الصفدي[59] واحتوى على ثمان وأربعين (48) مؤلفا تام التأليف وسبعة (7) مؤلفات لم تكمل، ومجموعها خمس وخمسون(55) مؤلفا إلى سنة 728هـ[60]، غير أن محققا ديوان ابي حيان أحصيا له في حياته كلها ستا وستين(66) مؤلفا، منها واحد وثلاثون(31) مؤلفا في علوم النحو واللغة، والباقي يتوزع بين علم القراءات وفنون إسلامية أخرى، مع مؤلفات في لغات الترك والفرس والحبش[61]، وله ديوان شعري يحوي مجموع قصائده التي ألفها[62]. ورغم هذه الوفرة من المؤلفات فإن ما وصلنا منها سوى القليل، ومنها تفسيره " البحر المحيط" الذي يمكننا اعتباره من التفاسير التي نالت انتشارا واسعا في العالم الاسلامي مشرقه ومغربه[63].

والملاحظة الجديرة بالتنبيه أن قائمة مؤلفاته لا تتضمن أي مؤلف في المنطق أو الفلسفة أو العلوم العقلية، في انسجام تام مع ما كان يعتقده فيها وما ترسخ في ذهنه عنها.

6-تلاميذه:

كانت شهرة أبي حيان واسعة نظرا لما كان يتمتع به من سعة العلم وتخصصه في علم النحو وخدمته له ولعلم القراءات، فقد شغل الناس بهما تدريسا وتأليفا لمدة طويلة قاربت الستين سنة[64]، وانهال الطلبة

---

[58] السيوطي، بغية الوعاة ج1، ص 282.

[59] نص طلب الاجازة من قبل الصفدي ورده عليها من قبل ابي حيان انظرها كاملة في ، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 340. الصفدي، والوافي بالوفيات، ج5، ص 181.

[60] الصفدي، نكت الهميان، ص 283.

[61] الصفدي، اعيان العصر، ج5، ص 343، 347. ابو حيان، ديوان أبي حيان ، ص 30-34.

[62] ذكر ابو حيان في إجازته لتلميذه الصفدي بأنه يجيز له ان يروي عنه جميع ما صنفه واختصره وجمعه وأنشأه نثرا ونظما، انظر الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 343. كما ذكر الصفدي بأنه نثر ونظم وله الموشحات البديعة، ج5، ص 330. وذكر الصفدي بأن لاستاذه ابي حيان ديوان شعر. وقال عنه:" وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه "، انظر ، الوافي بالوفيات، ج 5 ص176، و نكت الهميان ص 281-282. وذكر تلميذه السبكي بان له نظم كثير وموشحاته أجود من شعره، الطبقات الكبرى، ج9، ص 279.

[63] تعرض كل من ابن حجر والسيوطي لمؤلفات ابي حيان وبدأ كل منهما بتفسيره البحر المحيط مما يؤكد أنه كان على رأس الاهتمام، انظر، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 304. السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص 282.

[64] يرى الصفدي بأن أبا حيان خدم علم النحو مدة ثمانين سنة (أعيان العصر، ج5، ص 327) وفي ذلك مبالغة لان أبا حيان عاش 91 سنة ورحل إلى مصر في سن الرابعة والعشرين، فتكون خدمته هذا العلم فعليا حوالي ستون سنة(60).

للمشيخة على يديه، وكان منهم الجم الغفير[65]، وقد شاع اسمه وانتشر علمه، وأخذ عنه غالب شيوخ مصر وطلبتها[66]، والقادمين إليها[67]، و" أقرأ الناس قديما وحديثا حتى ألحق الصغار بالكبار وصارت تلامذته أشياخا في حياته"[68] "واتفق أهل المصر على تقديمه وإمامته، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته، وأباؤهم على النظر في مبسوطاته،وضربت الأمثال باسمه"[69].

ثانيا– المناخ العلمي العام والبيئة الأندلسية تجاه الفلسفة:

للوقوف على موقف ابن حيان من الفلسفة وكيف تكون لديه؟ وما هي الخلفية الفكرية والمذهبية التي كانت وراءه؟ ينبغي البحث عنها فيما كانت عليه الثقافة الاندلسية تجاه الفلسفة وعلوم الاوائل او العلوم العقلية عامة؟ وما هي التطورات التي حدثت في النظرة إليها؟ وما هو التيار الغالب الذي كان يفرض رؤيته على امتداد القرون السابقة لعصر ابي حيان؟ وكيف كان النظر إليها في عصره؟ وهل بقيت تسري في الكيان الثقافي الاسلامي مشرقا ومغربا أم حدثت لها تطورات؟ كل ذلك بإمكانه أن يفسر لنا موقف ابي حيان من الفلسفة: هل كان ذلك عن دراية ودراسة، أم أنه عن تقليد ومسايرة مع التيار العام الذي كان مسيطرا على المنظومة الفكرية الاسلامية.

البداية نلتقطها من كتاب طبقات الأمم للفلكي صاعد الاندلسي(ت 462هـ) الذي نعتبره مؤرخا للعلوم، وراصدا للتطورات الثقافية والذهنية التي كانت تسري في المنظومة العلمية الاسلامية بالاندلس، فبعد إشارته إلى الاعتناء بالعلوم الفلسفية – التي كانت تحوي مختلف العلوم العقلية من الطب والحساب والهندسة والهيئة والمنطق– وانتشارها منذ منتصف القرن الثالث الهجري في إطار المثاقفة بين انتشارها في المشرق وتسربها إلى بلاد الاندلس، واستمرت هذه العلوم العقلية (علوم الأوائل) في الانتشار والذيوع إلى منتصف القرن الرابع الهجري بتدعيم خاص من مؤسسة الخلافة الاموية بالاندلس وبرعاية خاصة من الخليفتين عبد الرحمن الناصر(300-350هـ) والحكم المستنصر(350-366هـ) حيث شجعا على اقتناء كتبها من المشرق والغرب، وشجعا على الترجمة لبعض كتبها النادرة، واستمالا طبقة هامة من علمائها، ومارسا سلطتهما في تحفيز الناشئة على دراستها وتعلم مواضيعها[70].

---

[65] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، 278.

[66] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[67] من تلاميذه الذين وفدوا إلى مصر وتتلمذوا على يديه السبكي صاحب الطبقات الكبرى ووالده ، وكذا من تلاميذه ابن مرزوق الخطيب، وغيرهما كثير، انظر . السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[68] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص 303.

[69] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص 278.

[70] صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص 55-56.

ويبدو أن ما قام به هذان الخليفتان كان يجد امتعاظا شديدا وتوجسا عميقا داخل صفوف الفقهاء الذين كانوا يجتهدون في مقاومة هذا التوجه نحو علوم الأوائل سرا وبنشاط كبير، وخاصة في بعض العلوم العقلية في جانب الإلهيات وفي علم النجوم، واستطاعوا أن يؤسسوا رأيا عاما مناوئا للعلوم العقلية والفلسفية، وظهرت نتائج هذا التوجس مباشرة بعد وفاة المستنصر والاستبداد بالسلطة من قبل الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(368- 392 هـ)[71] الذي كان مدركا لتوجسات الفقهاء وتوجهات الرأي العام في الاندلس من الفلسفة، فاستغلها استغلالا سياسيا لشرعنة حكمه واستمرار تسلطه بفعلٍ يكون مرضيا للفقهاء والعامة، فقام بحملة شديدة ضد الفلسفة تعقب كتبها بالحرق، ومنتسبيها من العلماء والطلبة بالملاحقة والمنع، واعتُبِر كل من يتعاطاها متهم في دينه ومشكوك في إيمانه، وقد سجل لنا صاعد الأندلسي هذا المشهد الذي أداره ابن ابي عامر وما ترتب عنه من نتائج فقال:"وعمد أول تغلبه عليه(على هشام المؤيد ابن المستنصر) إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها. وأبرز ما فيها من ضروب التواليف بمحضر خواصه من أهل العلم بالدين، وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة من المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل[72] حاشا كتب الطب والحساب، فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والأشعار والأخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباح بمذاهب الأندلس إلا ما أفلت منها في أثناء الكتب وذلك أقلها، فأمر بإحراقها وإفسادها. فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر، وهيل عليها التراب والحجارة، وفعل ذلك تحببا إلى عوام الأندلس، وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم، إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم. **وكان كل من قرأها متهما عندهم بالخروج عن الملة[73]، مظنونا به الإلحاد في الشريعة، فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك، وخمدت نفوسهم، وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم**"[74].

---

[71] المنصور ابن ابي عامر استولى على السلطة وغصبها من هشام المؤيد بالله ابن الحكم المستنصر الذي كان صبيا دون الاحتلام، واصبح يتحكم في الدولة دونه وباسمه.

[72] علوم الأوائل حددها ابن حزم في رسائله، وهي: الفلسفة وحدود المنطق، وعلم العدد، وعلم المساحة، وعلم الهيأة، وعلم الطب، انظر، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1407هـ/1987م، ج3، ص 131- 133.

[73] مسألة الإخراج من الملة كما تبدو قديمة في الذهنية المغربية والأندلسية، فيذكر أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي(ت379هـ/989م) في كتابه طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1404هـ/1984م، ص 241، عند ترجمته للطلاء المنجم إسماعيل بن يوسف، بأنه كان غاية في النجامة، وله اهتمام واسع بالكيمياء، ثم قال :" ومات بالأندلس هاربا من صاحب دار الضرب، وكان اتهم بعمل الدنانير والدراهم، وكان يرمى بالخروج عن

-وفي النصف الاول من القرن الخامس الهجري وبعد انقراض الخلافة الاموية والدولة العامرية وظهور ملوك الطوائف، استعادت العلوم العقلية والفلسفية جزءا من نشاطها وحركتها في إطار استمالة هؤلاء الملوك للعلماء من مختلف الفنون، ولكنها بقيت تحت ضغط ما ترسب من محاربتها من قبل الفقهاء، فكان الاقدام على تعلمها ودراستها أقل مما كان عليه زمن الخليفتين الامويين[75] وحتى من كان يتعاطاها فعلى استحياء من أن تصيبه شرارة الاتهام .

ويرسم الفقيه والمنطقي ابن حزم الاندلسي (ت 456هـ) [76] حركة العلوم العقلية في هذا العصر في حديثه عن المنطق متوافقا مع صاعد الاندلسي بأن موقف الناس في زمنه على أربعة ضروب ثلاثة منها مخطئة في تصورها وجائرة في حكمها:

فالضرب الاول هم" قوم حكموا على تلك الكتب(كتب أرسطاطليس الثمانية المجموعة في حدود المنطق) بأنها محتوية على الكفر وناصرة للإلحاد، دون أن يقفوا على معانيها أو يطالعوها بالقراءة، هذا وهم يتلون قول الله عز وجل، وهم المقصودون به إذ يقول تعالى:﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[77].

أما الضرب الثاني فهم "قوم يعدون هذه الكتب هذيانا من المنطق وهذرا من القول"، وقال عنهم:"**وبالجملة فأكثر الناس سراع إلى معاداة ما جهلوه، وذم ما لم يعلموه،** وهو كما قال الصادق عليه السلام:" الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة".

والضرب الثالث هم قوم قرأوا كتبها بعقول مؤوفة وبصائر غير سليمة وأشربت قلوبهم حب الاستخفاف واستوبؤا نقل الشرع، وكانوا سببا إضافيا في تنفير الناس منها، وهذه الاصناف الثلاثة قدر ابن حزم بأنه ما كتب كتابه "التقريب لحد المنطق" إلا للرد عليهم، ولإعادة الحق إلى نصابه.

الملة". وفي ترجمته لإدريس بن ميتم ص 306 قال عنه :" كان نحويا دقيق النظر، بصيرا بحد المنطق، كثير المطالعة لكتب الأوائل، حاذقا بعلم الحساب والتنجيم... وكان يرمى بالخروج عن الملة".

[74] صاعد: طبقات الأمم، ص 66-67.

[75] صاعد: طبقات الأمم، ص 67.

[76] وصفه ابن بسام بانه كان مشاركا في في كثير من أنواع التعليم و القديمة من المنطق والفلسفة، ،انظر، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 167.

[77] الاسراء آية 36.

أما **الضرب الرابع** فهم الذين تعاملوا معها بالحق، ونظروا فيها أذهان صافية وأفكار نقية من الميل، وعقول سليمة، فاستناروا بها ووقفوا على أغراضها فاهتدوا بمنارها، وكانت لها فائدة جليلة لانها تفتح كل مستغلق، وتجلي كل غامض[78] .

ثم خلص إلى تبيان حالة علم المنطق في عصره وما يعتريه من الزهد فيه وكيف أنه لم يبق منه إلا آثارا لطيفة وأعلاما داثرة[79]، وأن مصادرة أهله وإيذائهم هي السمة الغالبة، فيقول[80]:"**فأما الآن وقد زهد الناس فيه، إلى إيذاء أهله، وذعرهم، ومطالبتهم، والنيل منهم، ولم يقنع الجاهل بأن يترك وجهله، بل صار داعية إليه، وناهيا عن العلم بفعله وقوله، وصاروا كما قال حبيب بن أوس الطائي في وصفهم:**

غدوا وكأن الجهل يجمهم به* أب وذووا الآداب فيهم نواقل**

ويبدو أن ابن حزم لم يبالغ في هذا الوصف لانه أخذ على عاتقه مهمة استعادة دراسة المنطق وتوضيح فائدته في مختلف العلوم، وألف هذا فيه كتابه "التقريب لحد المنطق" في مناخ ثقافي يدرك خطورته، ويعلم أنه يسبح ضد التيار، وقد دفع ثمن ذلك مجملا بنفيه وإحراق كتبه[81].

وتتأكد هذه الحالة التي تمر بها صورة الفلسفة في هذه الفترة عندما نتفحص ما كتبه حولها الفقيه ابو الوليد الباجي الاندلسي (ت 474هـ) المعاصر لابن حزم- والذي كانت له معه مناظرات ثرية- حيث كان تركيزه منصبا حول ما تتضمنه مسائل ومباحث الالهيات بالخصوص التي كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية وقد أشار إلى ذلك في نصيحته لولديه الذين كانا في طور الصبا وبدآ يعيان معنى النصيحة، ولم يكن لهما السن ولا العلم الذي يصونان به أنفسهما من مغبة الولوج في القضايا المنطقية والفلسفية، حيث نهاهما في البداية عن قراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة، التي اعتبرها الباجي مبنية على الكفر والالحاد، والبعد عن الشريعة والابعاد، وأنها من أقبح المخاريق والتمويهات، ووجوه الحيل والخزعبلات التي يغتر بها من لا يعرفها ويستعظمها من لا يميزها، وأنها من العلوم المهجورة، ثم استطرد في نصيحته محذرا لهما من قراءة شيء منها ما لم يكونا مزودين بالعلم الذي يعصمهما من الافتتان بشبهها، ومخافة أن يسبق إلى قلبهما ما لايكون عندهما من العلم ما يقويان به على ردها، وذكرهم بأن جماعة من العلماء المتقدمين والمتأخرين ينكرون تعاطيها لمن لم يحصن نفسه بالعلوم التي تجعله من أهل المنزلة والمعرفة بها، وحضهما مستقبلا على قراءتها

---

[78] ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص 13-14.

[79] ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص 15.

[80] ابن حزم، التقريب لحد المنطق ص 14-15.

[81] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 200-201.

والوقوف على مثالبها إذا حصلا على الميز والمعرفة، وذكرهم أخيرا بأن من يدعي هذه العلوم في المشرق او في الاندلس يُرى مستحقرا مستهجنا مستضعفا فقال :" وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة، فإن ذلك مبني على الكفر والالحاد والبعد عن الشريعة والابعاد، وأحذركما من قراءتها ما لم تقرآ من كلام العلماء ما تقويان به على فهم فساده وضعف شبهه وقلة تحقيقه، مخافة ان يسبق إلى قلب احدكما ما لايكون عنده من العلم ما يقوى به على رده، ولذلك انكر جماعة من العلماء المتقدمين والمتأخرين قراءة كلامهم لمن لم يكن من أهل المنزلة والمعرفة به، خوفا عليهم مما خوفتكما منه. ولو كنت أعلم أنكما تبلغان الميز والمعرفة والقوة على النظر والمقدرة، لحضضتكما على قراءته، وامرتكما بمطالعته، لتحققا ضعفه وضعف المعتقد له، وركاكة المغتر به، وأنه من أقبح المخاريق والتمويهات، ووجوه الحيل والخزعبلات التي يغتر بها من لايعرفها، ويستعظمها من لا يميزها، ولذلك إذا حقق من يعلم عند احد منهم وجده عاريا من العلم بعيدا عنه/ يدعي انه يكتم علمه، وإنما يكتم جهله، وهو ينم عليه ، ويروم ان يستعين به، وهو يعين عليه. وقد رأيت ببغداد وغيرها من يدعي منهم هذا الشأن مُستحقرا مُستهجنا مُستضعفا لا يناظره إلا المبتدئ، وكفاك بعلم صاحبه في الدنيا مرموق مهجور ، وفي الاخرة مدحور مثبور. وأما من يتعاطى ذلك من أهل بلدنا (الأندلس) فليس عنده منه إلا اسمه، ولا وصل إليه إلا ذكره" [82].

-أما رأيه في التنجيم وعلم الهيئة فكان واضح التعبير عن ذلك، فقد اعتبر القضاء بالنجوم مخرج عن الدين ومدخل في جملة المارقين، بينما يرى بأن علم الهيئة المتعلق بتعديل الكواكب ومعرفة اوقات طلوعها وغروبها وحركتها وتعيين منازلها وبروجهاوالتعرف على اوقات الصوات، فإنه علم حسن مدرك ذلك كله بطريق الحساب مفهوم فقال[83] :"وإياكم والقضاء بالنجوم والتكهن، فإن ذلك لمن صدقه مخرج من الدين، ومدخل له في جملة المارقين، وأما تعديل الكواكب، وتبيين اشخاصها، ومعرفة أوقات طلوعها وغروبها، وتعيين منازلها وبروجها، وأوقات نزول الشمس والقمر بها، وترتيب درجاتها للأهتداء به، وتعرف الساعات وأوقات الصلوات بالظلال وبها، فإنه حسن مدرك ذلك كله بطريق الحساب مفهوم قال الله تعالى ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾[84]، وقال عز من قائل:﴿هو الذي جعل

[82] الباجي، النصيحة الولدية ص 25-26.

[83] الباجي، النصيحة الولدية تحقيق، ابراهيم باجس عبد المجيد، ص 33-34.

[84] سورة الانعام آية 97.

الشمس ضياءا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون﴾[85]

بحلول منتصف القرن السادس الهجري وما بعده وقيام الدولة الموحدية كان الاهتمام بالفلسفة والعلوم العقلية مشروعا سياسيا مناوئا لدولة المرابطين الذين دأب الموحدون على السير ضد كل ما يرمز إليها من مذاهب وعلوم وسياسات، خاصة في عهد الخليفة الموحدي ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ) الذي كانت له همة عالية في تعلم الفلسفة بموضوعاتها المختلفة بدءا بالطب وانتهاءا بالالهيات وكان شديد الاهتمام بجمع كتبها واستجلاب علمائها[86] وكان ابن طفيل من ابرز الفلاسفة والاطباء الجراحين الذي كانوا في بلاط ابي يعقوب الموحدي وهو الذي أشار عليه في الاستفادة من ابن رشد وتكليفه شرح فلسفة ارسطو[87].

ورغم هذا الاهتمام الرسمي بالفلسفة إلا أن صورتها في البنية الذهنية لجمهور الفقهاء والعامة لاتزال تثير الهواجس ولا تزال سمعتها سيئة ومتهمة بأنها خطر على العقيدة الاسلامية بما تحويه من مباحث فلسفية حول العقيدة في الله والحشر، وبما تجره من أفكار لا حاجة للمسلمين إليها، ومن ثم كان الانكار على وجودها وعلى منتحليها ومحاربتها يشكل سمة بارزة، وما إن اعتلى الحكم ابنه الخليفة ابو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ) حتى تغيرت المعادلة بفعل المقاومة والنشاط العلمي للفقهاء المناوئين لها وما رسخوه في عامة الناس وانتكس الاهتمام بالفلسفة وتحول مشروعها السابق إلى محاربته لها " وكتبت عنه الكتب إلى البلاد بالتقدم الى الناس في ترك هذه العلوم جملة واحدة، وبإحراق كتب الفلسفة كلها إلا ما كان من الطب والحساب وما يتوصل به من علوم النجوم الى معرفة اوقات الليل والنهار وأخذ سمت القبلة"[88].

وولا شك أن رصد حركية الفلسفة عند كل من ابن طفيل(494 -581هـ)[89] وابن رشد الحفيد(520-595هـ) قمين بتوضيح صورتها لدى الفقهاء والفلاسفة، واستنتاج ما هي عليه في الذهنية

---

[85] سورة يونس آية 5.

[86] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 175-176.

[87] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، 176، 179.

[88] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 225. انظر كذلك ما نقله ابن ابي اصيبعة عن القاضي ابي الوليد الباجي في هذا الاجراء الذي قام به المنصور الموحدي وهو انه قصد أن يترك سيئا من كتب المنطق والحكمة(الفلسفة) باقيا في بلاده وكان طبيبه الحفيد ابو بكر بن زهر ممن كان له اتمام كبير بالفسلفة عيون الانباء، ص 523.

[89] ترجمة ابن طفيل في ، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 176.

الاندلسية، وفي الاجواء التي تعيشها في القرن السادس الهجري وتأكيد ما ذهب إليه صاحب المعجب، في النص السابق.

وقد أشار الطبيب والفيلسوف ابن طفيل إلى صورة الفلسفة في كتابه قصة حي بن يقضان وأكد ان الفلسفة في عهده نادرة كندرة الكبريت الأحمر، وخاصة في الأندلس وان القلة النادرة الذين يتعاطونها لا يستطيعون البوح بها في المجتمع إلا بااستخدام الرموز مخافة ان يلحقهم أذى، لان فقهاء الشريعة الاسلامية منعوا من الخوض فيها وحذروا منها كما قال[90].

أما رأي الفقيه والطبيب والفيلسوف ابن رشد الحفيد فيمكننا تلمسه مما كتبه في كتابه "**فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**" في محاولة منه لردم تلك الفجوة التي تعاظمت في عصره بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، والتقريب بين علوم الشريعة وبين كتب الحكمة أو كتب القدماء، وقال في ذلك بعد بيانه للحاجة إلى العلوم العقلية :"وإذا كان هذا هكذا، **فقد يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظرا في الموجودات، واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناه. فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء(علوم الفلسفة والمنطق والعلوم العقلية) واجب بالشرع إذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه**"[91] .

ومن النصوص المهمة في استنتاج صورة الفلسفة في عهده تحليله لكيفية درء التعارض بين الشريعة والحكمة والجمع بينهما ما أورده في كتابه "الكشف عن مناهج الادلة" حيث أوضح أن الاشكال لا يتأتى من الشريعة والحكمة ولكن ممن يدعي إحاطته بهما وهو خلو منهما او من إحداهما، في قوله:" فالصواب أن تعلم الفرقة من الجمهور التي ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة أنها ليست مخالفة لها. وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها من الذين ينتسبون للحكمة أنها ليست مخالفة لها، وذلك بان يعرف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنهها بالحقيقة ، أعني على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة، وأن الرأي في الشريعة الذي اعتقد أنه مخالف للحكمة هو رأي إما مبتدع في الشريعة لا من أصلها، وإما رأي خطأ في الحكمة، أعني تأويل خطإ عليها. كما عرض في مسألة علم الجزئيات وفي غيرها من المسائل. ولهذا المعنى أضطررنا نحن في هذا الكتاب أن نعرف أصول الشريعة. فإن أصولها إذا تؤملت وجدت أشد مطابقة

---

[90] ابن سينا وابن طفيل والسهروردي، حي بن يقضان، تحقيق وتعليق أحمد أمين دار المعارف بمصر، 1952 ص61.

[91] ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق، محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1969م، ص 28-29.

للحكمة مما أول فيها. وكذلك الرأي الذي ظن في الحكمة أنه مخالف للشريعة، يعرف أن السبب في ذلك أنه لم يُحَط علما بالحكمة ولا بالشريعة، ولذلك أضطررنا نحن أيضا إلى وضع قول ، أعني " فصل المقال"، في موافقة الحكمة للشريعة "[92].

وهذه النصوص تفيد أن وضع الفلسفة أو الحكمة يعاني معاناة شديدة في القرن السادس الهجري وخاصة في نهايته، ويتسق مع إجراءات الخليفة المنصور من التضييق على الفلسفة ومصادرة كتبها كما أشرنا سابقا، والغريب أن ابن رشد الحفيد ذاته تعرض لنكبة قاسية ونفي من بلاده على يد الخليفة المنصور الموحدي سنة 593هـ وهو في سن الثالثة والسبعين 73 من عمره[93]، وهذه النكبة كيفت على أنها بسبب اشتغاله بالفلسفة (الحكمة) وعلوم الأوائل[94] ، وخروجه عن سنن الشريعة وإيثاره لحكم الطبيعة والمروق من الدين ومخالفة عقائد المؤمنين، وهو أضر على الامة من أهل الكتاب[95]، مع العلم ان اشتغاله بالفلسفة وشرحه لفلسفة ارسطو إنما كان عهد الخليفة السابق أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ)،واستمر بنفس السيرة منذ اعتلاء المنصور الحكم سنة 580هـ إلى سنة 592 سنة نكبته،والمهم في ذلك هو أن تهمته باشتغاله بالفلسفة وما يترتب عنها في تصور الفقهاء كان كافيا لإدانته دينيا وتجريمه اجتماعيا وتبرير نكبته سياسيا ونفيه من وطنه عمليا.

ويذكر ابن سعيد الاندلسي(ت 685هـ) المعاصر لأبي حيان الاندلسي حال الفلسفة في هذا العهد في نهاية القرن السادس الهجري ومنتصف القرن السابع الهجري فيقول :" وأما الفلسفة فإمامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي، وله فيها تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم، وسجنه بسببها. وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشبيلية[96]، **وهو علم ممقوت بالأندلس، لا يستطيع صاحبه إظهاره، فلذلك تخفى تصانيفه**"[97].

---

[92] ابن رشد، الكشف عن مناهج الادلة، ص 152-153. هذا الطرح من قبل ابن رشد هو نفسه ما ذهب إليه ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل

[93] عن نكبة ابن رشد انظر، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،السفر السادس، ص 25-28.

[94] ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص 532.

[95] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،السفر السادس، ص 25-28.

[96] كان القتل في بعض الأحيان مصير العلماء المشتغلين بالفلسفة والعلوم العقلية في المشرق كذلك، ومما أورده الحنبلي في شذراته، ج 5، ص 214، عن الفقيه الرفيع الجيلي أبو حامد عبد العزيز قاضي القضاة بدمشق ما جاء في طبقات الأسنوي بأنه :" كان فقيها بارعا، مناظرا، عارفا بعلم الكلام، والفلسفة، وعلوم الأوائل، جيد القريحة، شرح الإشارات لابن سينا شرحا جيد، وكان فقيها في مدارس دمشق"، ثم نقل عنه قول ابن قاضي شهبة في تاريخ الإسلام بأنه" كان فاسد العقيدة، دهريا، مستهزئا بأمور

ولعل النص الذي يذكره المقَّري نقلا عن ابن سعيد(ت 685هـ) المعاصر لأبي حيان الاندلسي في كتابه "المغرب" فيه إشارة وافية للصورة القمئة التي كانت عليها الفلسفة في الاندلس تُلَخص معاناة كتبها والمنتسبين إليها، يقول ابن سعيد :" وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، ولا يُتظاهر بها خوف العامة، فإنه كلما قيل "فلان يقرأ الفلسفة" أو "يشتغل بالتنجيم" أطلقت عليه العامة اسم "زنديق"، وقَيَّدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة، وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت"[98].

ولا يختلف حال الفلسفة في القرن الثامن الهجري، يقول لسان الدين ابن الخطيب(ت 776هـ) المعاصر لأبي حيان الاندلسي في وصيته لأبنائه[99] في نص غاية في الكشف عما كان يختلج نفسية المجتمع عوامه ونخبته حول الفلسفة والعلوم العقلية، فبعد أن قال:" خير العلوم علوم الشريعة وما نجم في منابتها المريعة"[100]، قال:" وإياكم والعلوم القديمة(الفلسفة والعلوم العقلية)، والفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا، ورأيا ركيكا، **ولا يورث في العاجلة إلا اقتحام العيون، وتطريق الظنون، وتطويق الاحتقار، وسمة الصغار، وخمول الأقدار، والخسف بعد الإدبار**. وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال، وأوفق من قطع العمر في الجدال، هذا **ابن رشد** قاضي المصر ومفتيه، وملتمس الرشد وموليه، عادت عليه

الشريعة، يخرج إلى الجمعة سكرانا"، ثم تقرر قتله ربما لدواع سياسية، ولكن تهمته الأساس هي فساد العقيدة، وتمت تصفيته بالخنق أو الرمي من على القلعة بعد أن طلب الصلاة ركعتين.

[97] المقري: نفح الطيب، ج4، ص 26-27.

وفي نفس الفترة تحدث القفطي (ت 646هـ) في كتابه أخبار العلماء، ص 154، عن الدولة الإمامية الناصرية وأنها كانت تعادي أهل الفلسفة وبعض العلوم العقلية كالهيئة، فقد أخذت كتب عبد السلام بن عبد القادر بن أبي صالح البغدادي المدعو بالركن- بعد وشايات من حاسديه- وأحرقت بالرحبة ببغداد، وأدخل السجن، ثم أفرج عنه سنة 589هـ/ 1193م.

[98] المقري: نفح الطيب، ج1، ص181. وفي هذا الإطار لا يُستبعد أن يكون من أسباب مقتل الشاعر ابن خميس محمد بن عمر سنة 708هـ/1308م اهتمامه بعمل الكيمياء وشهرته بذلك، في ظل هذا المناخ، انظر، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص109.

[99] في رسالته للدكتوراه عزا محمد بولوز هذا النص للمقري الحفيد صاحب نفح الطيب، انظر رسالته بعنوان "كتاب "بداية المجتهد وكفاية المقتصد" لابن رشد ودوره في تربية ملكة الاجتهاد"، جامعة محمد بن عبد الله، شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة القرآن والحديث وعلومها- فاس -2006-2007م ، ص 29؛ غير أن المقري في الحقيقة نقل هذا النص وأكد بأنه من وصية للسان الدين بن الخطيب، انظر، المقري: نفح الطيب(تحقيق إحسان عباس)، ج7، ص391.

[100] المقري: نفح الطيب، ج9، ص 233 ، (في الطبعة المحققة من قبل احسان عباس، ج7، ص 400-401،)، وهي من وصية ابن الخطيب لابنائه. انظرها كذلك في، المقري: أزهار الرياض، ج1، ص 229-230.

بالسخطة الشنيعة، وهو إمام الشريعة[101]، **فلا سبيل إلى اقتحامها والتورط في ازدحامها، ولا تخلطوا حامكم بحامها**، إلا ما كان من حساب ومساحة، وما يعود بجدوى فلاحة، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة، **وما سوى ذلك فمحجور، وضرم مسجور مهجور**"[102].

ونختم بما أكده ابن خلدون (ت 808هـ) حول الفلسفة واصفا حالة الطوارئ التي تعيشها الثقافة الإسلامية في عصره مما أصبح راسخا فيها تجاه الدخيل من العلوم بقوله بعد مناقشة جملة من المسائل الفلسفية المتعلقة بماوراء الطبيعة في المسائل الالهية، والمعاد والحشر، وغيرها:" فليكن الناظر فيها متحرزا جهده معاطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه، ولا يُكِبَّنَّ أحد عليها وهو خِلوٌ من علوم الملة فقَلّ أن يسلم لذلك من معاطبها"[103]، وعند الحديث عن المنطق قال :" واعلم أن هذا الفن قد اشتد النكير على انتحاله من متقدمي السلف والمتكلمين، وبالغوا في الطعن عليه، والتحذير منه، وحظروا تعلمه وتعليمه"[104].

من خلال هذا المسح العام لصورة الفلسفة في الاندلس تأكد لدينا أن الحالة العامة كانت معادية للفلسفة وما ينتسب إليها، وخاصة المسائل الإلهية والتصورات المتعلقة بالحشر والمعاد وعلم الهيئة في جانبها التنجيمي، والكيمياء وكان العداء متجها إلى مصادرة مؤلفاتها وملاحقة علمائها ، وكانت هذه الصورة تزداد قتامة في القرن السابع والثامن الهجري حيث عاش ابو حيان الاندلسي في هذه الاجواء الثقافية المتوجسة من الفلسفة فهل كان هذا المناخ فاعلا أساسيا في تحديد موقف ابي حيان منها؟

ثالثا– نقد أبي حيان للفلسفة اليونانية من خلال تفسيره البحر المحيط:

---

[101] انظر ما جاء في ترجمته عند، ابن الزبير: صلة الصلة، ج5، ص 383-384، حيث قال :" كان من أهل العلم والتفنن، أخذ الناس عليه واعتمدوه، إلى أن شاع عنه ما كان الغالب عليه في علومه من اختيار العلوم القديمة، والركون اليها، وصرف عنانه جملة نحوها . ورام الجمع بين الشريعة والفلسفة، وحاد عما عليه أهل السنة، فترك الناس الرواية عنه". وانظر كذلك ما جاء في كتاب التكملة لابن الابار، ج2، ص 163 في ترجمته لمحمد بن إبراهيم المهري من أهل بجاية ذو الاصول الاشبيلية حيث قال عنه:" وامتحن بقرطبة سنة ثلاث وتسعين (593هـ) هو وأبو الوليد بن رشد محنتهما المشهورة، من أجل نظرهما في علوم الأوائل... وتوفي ببجاية مصروفا عن القضاء بين عيدي الفطر والأضحى سنة 612هـ".

[102] المقري: نفح الطيب، ج9، ص233. الغريب ن لسان الدين بن الخطيب تعرض لتهمة الزندقة، وقتل بها في فاس في سياق أحداث سياسية كان فيها الشد والجذب بين ابن الخطيب وأعدائه المقربين ومنهم القاضي النباهي الذي بعث إليهى برسالة طويلة فيها حيثيات الاتهام المبطن له، وكانت هذه التهم سبيلا إلى تنفيذ وتنفيس العداء الذي كانت السياسة وراءه ، انظر نص الرسالة في ، المقري، نفح الطيب، ج5، ص 122-130. و أزهار الرياض، ج1، ص 212-224.

[103] ابن خلدون، المقدمة، ص 600-601.

[104] ابن خلدون: المقدمة، ص 545.

بدأ أبو حيان اشتغاله بتفسير القرآن الكريم أواخر سنة 710هـ في السابعة والخمسين من عمره[105]، وهو في تمام نضجه العلمي، والمتصفح والدارس لتفسيره "البحر المحيط" لا يجد عناء في ملاحظة تركيزه على الغوص في المعاني اللغوية والمسائل النحوية الأدبية والبلاغية في القرآن الكريم، مع الاهتمام بإيراد القراءات المختلفة، كمقدمة أساسية للولوج إلى معاني القرأن الكريم، وقد وضح ابو حيان منهجه في التفسير في مقدمته[106]، ولذلك فإن تفسيره كان خاليا من التفسيرات العلمية أو الفلسفية إلا ما ينقله عن الفخر الرازي في تفسيره الكبير، ثم يعلق عليه أحيانا بالسلب وأحيانا بالايجاب حسب ما يعتقده ويتصوره،

وقد تعرض أبو حيان للفلسفة في تفسيره البحر المحيط ناقدا لها ومسجلا موقفه منها في مستويين متكاملين:

الأول : نقده للفلسفة وموقفه منها

الثاني: نقده للفلاسفة المسلمين

فبالنسبة للمستوى الأول :

يمكننا رصد بداية تأسيسه نقده وموقفه من الفلسفة عندما كان في الاندلس وتشرب في تكوينه التوجس من الفلسفة ومقتها والنفور منها، واعتبارها جهالات، وكانت سببا في رحلته أو هروبه من الاندلس خوفا من الانتساب إليها ودراستها رسميا في بلاط السياسة[107]، وأشار إلى ذلك في سياق تفسيره قوله تعالى ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة﴾[108] فيقول:" ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك أحد، تعجبت من ذلك إذ كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والإنكار له، وإنه إذا بيع كتاب في المنطق إنما يباع خفية، وإنه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق إنما يسمونه"المفعل" حتى أن صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب إلينا كتابا من الأندلس يسألني أن أشتري أو استنسخ كتابا لبعض شيوخنا في المنطق فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه في كتابه لي بالمفعل"[109].

وقد جمع أبو حيان بين الفلسفة والزندقة والسفسطة في إطار واحد ويرى بأنها طريق إلى الغواية والكفر، لانها بعيدة عن العقل سائرة في المحاجة الباطلة، وذلك في معرض تفسيره للآية الكريمة ﴿ قال فإن

---

[105] ابو حيان البحر المحيط، ج1، ص 10.

[106] البحر المحيط، ج1، ص 12.

[107] السيوطي(ت911هـ)، بغية الوعاة، ج1، ص 281.

[108] سورة يونس آية 27.

[109] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص 47.

الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ﴾[110] حيث قال:"ومثل هذا محتوم له عدم الهداية، محتوم له بالكفر، لأن مثل هذه الدعوى ليست مما يلتبس على مدعيها، بل ذلك من باب الزندقة والفلسفة والسفسطة، فمدعيها إنما هو مكابر مخالف للعقل"[111].

كما تعرض للفلسفة ووصمها بالكفر في سياق تفسير قوله تعالى﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء﴾[112] قال:" :" وهذا الرجل (الرازي) كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب، والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم أهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغز والأحاجي، ويسميهم هذا الرجل حكماء وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه"[113].

ومن بين ما عرضه في الفلسفة أنها تتبنى مسألة أن الله تعالى لايعلم الجزئيات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد رد على هذه الجزئية في معرض تفسيره لقول الله تعالى﴿وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو﴾[114] يقول:" وَدَلَّتْ هَذِهِ الْجُمَلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِالْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ وَفِيهَا رَدٌّ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ وَلَا الْجُزْئِيَّاتِ حَتَّى هُوَ لَا يَعْلَمُ ذَاتَهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ"[115].

أما المستوى الثاني:

فيتعلق بنقده للفلاسفة عموما وخص الفلاسفة المسلمين لخطورة ما يبثونه من قضايا فلسفية، وأشار أبو حيان إلى انتشار دراسة الفلسفة وشيوعها بقوة في عصره والزمن الذي قبله بقليل ويورد تصوره حولها وحولهم وكيفية تعاملهم باستعلاء مع غيرهم وأنهم خلو من مصادر الشريعة الاسلامية قرآنا وسنة فيقول:"وقد غلب في هذا الزمان وقبله بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس، ويسمونها الحكمة، ويستجهلون من عرى عنها، ويعتقدون أنهم الكلمة من الناس، ويعكفون على دراستها، ولا تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "[116].

---

[110] سورة البقرةن ية 258.

[111] البحر المحيط ج2، ص 630.

[112] سورة ابراهيم، آية 21.

[113] ابوحيان، البحر المحيط، ج6، ص 425.

[114] سورة الانعام آية 59.

[115] البحر المحيط، ج4، ص 536.

[116] نفسه ج6، ص 46.

ووصف الفلاسفة بأنهم منافقون يتسترون بالإسلام، وخص ابن رشد بنقد خاص، عندما تناول تفسير قوله تعالى﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾[117] حيث قال" وما زال في كل عصر منافقون يتسترون بالإسلام ويحضرون الصلوات كالمتفلسفين الموجودين في عصرنا هذا. وقد أشار بعض علمائنا إليهم في شعر قاله وضمن فيه الآية فقال في أبي الوليد بن رشد الحفيد وأمثاله من متفلسفة الإسلام:

لأشياع الفلاسفة اعتقاد *** يرون به عن الشرع انحلالا

أباحوا كل محظور حرام*** وردوه لأنفسهم حلالا

ومانتسبوا إلى الإسلام إلا*** لصون دمائهم أن تسالا

فيأتون المناكر في نشاط*** ويأتون الصلاة وهم كسالى"[118]:

وهاجم أبو حيان الفلاسفة واتهمهم بأنهم أعداء الأنبياء والمحرفون للشريعة، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى، في معرض تفسيره لقوله تعالى﴿كأنما أغيشت وجوههم قطعاى من الليل مظلما﴾[119] فيقول:"حكماء الفلاسفة الذين خلقوا في مدة الملة الإسلامية وهو أحق بأن يسموا سفهاء من أن يسموا حكماء، إذ هم أعداء الأنبياء والمحرفون للشريعة الإسلامية، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى، وإذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن قراءة التوراة مع كونها كتابا إلهيا، فلأن ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق"[120].

ووصم أبو حيان الفلاسفة بما يحط من درجتهم إلى درك الحيوانية في معرض تفسير قوله تعالى﴿ فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾[121] بعد أن أورد نصا للزمخشري:" وَقَالَ الزَّمَخْشَرِي وَلَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَعَلَا فَاتِحَتَهَا وَخَاتِمَتَهَا النَّهْيَ عَنِ الشِّرْكِ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ وَمِلَاكُهَا، وَمَنْ عَدِمَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ حِكَمُهُ

---

[117] سورة النساء، آية 142..

[118] ابو حيان، البحر المحيط ج4، ص 109. وهذه الابيات نقلها ابو حيان من شعر لابن جبير محمد بن احمد الاندلسي صاحب الرحلة (ت 614هـ) من ترجمة له كتبها ابن عبد الملك في كتابه الذيل والتكملة، ج5، ص 611. ما كتبه ابو حيان من اشعار استقاها من ابن جبير ولم ياخذ كل هذه الاشعار عن ابن رشد الموجودة جزء منها في الذيل والتكملة ج6 ص 30-31.

[119] سورة يونس آية 27.

[120] ابو حيان الاندلسي، البحر المحيط ج6، ص 46. وهذا النص نقل عمومه حرفيا السبكي مع تصرف وزيادات بيسطة، انظر معيد النعم، ص 64. كما نقله طاش كبري زادة .

[121] الاسراء آية 39

وَعُلُومُهُ وَإِنْ بَذَّ فِيهَا الْحُكَمَاءَ وَحَكَّ بِيَافُوخِهِ السَّمَاءَ، وَمَا أَغْنَتْ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ أَسْفَارُ الْحِكَمِ وَهُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَضَلُّ مِنَ النَّعَمِ.[122]

ويظهر أبو حيان شعوره تجاه بعض فلاسفة المسلمين مكيلا لهم أنواعا من الاتهامات والتنقيص من قدرهم، فكان نصيب ابن سينا الغض منه واتهامه بالجهل، فيقول :"ولقد غضضت مرة من ابن سينا ونسبته للجهل، فقال لي بعضهم وأظهر التعجب من كون أحد يغض من ابن سينا : كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب إلى الجهل؟"[123].

وكان نصيب ابن رشد الحفيد التشفي فيه لما ناله من نكبة على يدي الخليفة الموحدي المنصور فقال:"ولما ظهر من قاضي الجماعة أبي الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد بن رشد الاعتناء بمقالات الفلاسفة والتعظيم لهم، أغرى به علماء الإسلام بالأندلس المنصور منصور الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب والأندلس حتى أوقع به ما هو مشهور من ضربه ولعنه وإهانته وإهانة جماعة منهم على رؤوس الأشهاد"[124].

ثم أورد أبياتا شعرية لبعض العلماء الشعراء يخاطب فيها الخليفة المنصور الموحدي حول الفلاسفة فيقول:

خليفتنا جزاك الله خيرا*** عن الاسلام والسعي الكريم
فحق جهاده جاهدت فيه*** إلى أن فزت بالفتح العظيم
وصيرت الأنام بحسن هدى*** على نهج الصراط المستقيم
فجاهد في أناس قد أضلوا*** طريق الشرع بالعلم القديم
وحرق كتبهم شرقا وغـــربا*** ففيـــها كامنا شر العلوم
يدب إلى العقائد من أذاها*** سموم والعقائد كالجسوم
وفي أمثالـــها إذ لادواء *** يكون السيف ترياق السموم

وقال :

يا وحشة الاسلام من فرقــة *** شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها*** وادعت الحكمة والفلسفه

وقال:

---

[122] 52/7

[123] نفسه ج6، ص 46.

[124] نفسه ج6، ص 46.

قد ظهرت في عصرنا فرقة*** ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين إلا بما*** سن ابن سينا او ابو نصر[125]

كما تحدث في غير ما موضع عن فخر الدين الرازي صاحب التفسير المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، وأشاد بكتابه المحصول في مقدمة كتابه البحر المحيط حيث جعله من أجمع الكتب في هذا الفن، ووضعه أول كتاب مهم في اصول الفقه،وكان له هو شخصيا به اعتناء[126]. ويكيل له المدح في بعض الاقتباسات عنه[127]، ورغم ذلك فيقول عنه وعن تفسيره الكبير بأنه"جَمَعَ فِي كِتَابِهِ فِي التَّفْسِيرِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً طَوِيلَةً، لَا حَاجَةَ بِهَا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ. وَلِذَلِكَ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَطَرِّفِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّفْسِيرَ[128].

وغمزه في أنه يتبع في تفسيره رؤى الفلاسفة، وحشره في زمرة الفلاسفة الذين يتصورهم ابو حيان، كما غمزه في حكمه على الفلاسفة بأنهم حكماء، قال:" وهذا الرجل (الرازي) كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب، والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم أهل الفلسفة"[129].

وقد اقتبس أبو حيان من تفسير الفخر الرازي نصوصا كثيرة وفصولا هامة بالمئات حتى أننا تفاجأنا من حجم الاقتباس منه[130] ومن كشاف الزمخشري، ويشير في بعضها إلى أن ما يكتبه هو من وحي كلام الفلاسفة في إشارة إلى عدم ارتياحه لهذه النصوص، رغم انه ينقل ذلك ويثبته في تفسير البحر المحيط، ومن أمثلة ذلك في معرض تفسيره لقول الله تعالى ﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾ [131] حاء فيه :"وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ: أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَقِيبَ ذِكْرِهِ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى عِيسَى أَنْوَاعٌ مِنَ الْبَلَايَا، أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَيْهِ

[125] ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص 46-47.
[126] البحر المحيط، ج1، ص 15-16.
[127] البحر المحيط، ج 5، ص 78.
[128] البحر المحيط 1/ 547.
[129] ابوحيان، البحر المحيط، ج6، ص 425.
[130] تقديرنا الاولي أن النصوص التي اقتبسها ابو حيان من تفسير الفخر ابن الخطيب تتجاوز مجلدا كاملا، وربما نعمل على احصاء كل تلك النصوص بحول الله تعالى.
[131] سورة النساء آية 158.

فَدَلَّ أَنَّ رَفْعَهُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ فِي إِيصَالِ الثَّوَابِ مِنَ الْجَنَّةِ وَمِنْ كُلِّ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَّاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ مَعْرِفَةِ السِّعَادَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ انْتَهَى. وَفِيهِ نَحْوٌ مِنْ كَلَامِ الْمُتَفَلْسِفَةِ"[132].

ومن الامثلة كذلك قوله: " وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرازي: فِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى التَّعْظِيمِ هَذَا عَلَى ظَاهِرِ قَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَأَمَّا عِنْدَ أَصْحَابِ الْأَرْوَاحِ الْمُشْرِقَةِ بِأَنْوَارِ جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَحْتَ قَوْلِهِ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَسْرَارٌ عَجِيبَةٌ لَا تَسْمَحُ الْأَقْلَامُ بِمِثْلِهَا جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِهَا انْتَهَى. وَهُوَ كَلَامٌ عَجِيبٌ شَبِيهٌ بِكَلَامِ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ.[133]

ومثال آخر:" وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ: إنما كانت صلاته سَكَنًا لَهُمْ لِأَنَّ رُوحَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ رُوحًا قَوِيَّةً مُشْرِقَةً صَافِيَةً، فَإِذَا دَعَا لَهُمْ وَذَكَرَهُمْ بِالْخَيْرِ ثَارَتْ آثَارٌ مِنْ قُوَّتِهِ الرُّوحَانِيَّةِ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ فَأَشْرَقَتْ بِهَذَا السَّبَبِ أَرْوَاحُهُمْ، وَصَفَتْ سَرَائِرُهُمْ، وَانْقَلَبُوا مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ الْجُسْمَانِيَّةِ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ. قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ محمد بْنُ سُلَيْمَانَ عُرِفَ بِابْنِ النَّقِيبِ فِي كِتَابِهِ التَّحْرِيرِ وَالتَّحْبِيرِ: كَلَامُ الرَّازِيِّ كَلَامٌ فَلْسَفِيٌّ يُشِيرُ فِيهِ إِلَى أَنَّ قُوَى الْأَنْفُسِ مُؤَثِّرَةٌ فَعَّالَةٌ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ"[134].

وفي مثال آخر في سياق تفسيره لقوله تعالى﴿ هو الذي يريكم الرق خوفا وطمعا﴾[135] ، جاء فيه:" وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ: اعْلَمْ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْحُكَمَاءِ يَذْكُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْعُلْوِيَّةَ إِنَّمَا تَتِمُّ بِقُوَى رُوحَانِيَّةٍ فَلَكِيَّةٍ، وَلِلسَّحَابِ رُوحٌ مُعَيَّنٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الْفَلَكِيَّةِ يُدَبِّرُهُ، وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الرِّيَاحِ، وَفِي سَائِرِ الْآثَارِ الْعُلْوِيَّةِ. وَهَذَا عَيْنُ مَا قُلْنَاهُ أَنَّ الرَّعْدَ اسْمٌ لِمَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُسَبِّحُ اللَّهُ تَعَالَى، فَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ هُوَ عَيْنُ مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْحُكَمَاءِ، فَكَيْفَ بِالْعَاقِلِ الْإِنْكَارُ؟ انْتَهَى[136].

ثم عقب ابو حيان على ذلك بما يفيد وصم الفخر الرازي بالضلال بقوله:" وَهَذَا الرَّجُلُ غَرَضُهُ جَرَيَانُ مَا تَنْتَحِلُهُ الْفَلَاسِفَةُ عَلَى مَنَاهِجِ الشَّرِيعَةِ، وَذَلِكَ لَا يكون أبدا، وقد تقدمت أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الرَّعْدِ فِي الْبَقَرَةِ، فَلَمْ يُجْمِعُوا عَلَى أَنَّ الرَّعْدَ اسْمٌ لِمَلَكٍ. وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِمَلَكٍ، لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الملك يدبر لا السحاب وَلَا غَيْرِهِ، إِذْ لَا يُسْتَفَادُ مِثْلُ هَذَا إِلَّا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْهُودُ لَهُ بِالْعِصْمَةِ، لَا مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الضُّلَّالِ.[137]

---

[132] البحر المحيط، ج4، ص 128

[133] البحر المحيط ج4، ص 423، وانظر كذلك مواضع ج4، ص 589. ج9، ص 323-324.

[134] البحر المحيط، ج5، ص 500 وانظر كذلك ، ج5، ص 10.

[135] سورة الرعد، آية 12.

[136] البحر المحيط، ج6، ص 365.

[137] البحر المحيط، ج6، ص 365.

ويبدو أن أبا حيان يطعن في الفلاسفة عموما بأنهم لايعتقدون بان الله يعلم الجزئيات، فيقول:" وَدَلَّتْ هَذِهِ الْجُمَلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِالْكُلِّيَّاتِ وَالْجُزْئِيَّاتِ وَفِيهَا رَدٌّ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ وَلَا الْجُزْئِيَّاتِ حَتَّى هُوَ لَا يَعْلَمُ ذَاتَهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.[138] –ولاشك ان هذا النص لابن حيان يوحي وكأن الرازي يذهب مذهب الفلاسفة، ورغم اننا لسنا في معرض الرد على ذلك فإننا ينبغي التنبيه بالحقيقة أن الرازي قد وضح هذه المسألة بالذات في نص صريح يؤكد فيه أن الله تعال يعلم الجزئيات والكليات عندما تناول تفسير قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[139] وفي المسالة السادسة يقول:" [في خلق الله تعالى الأرض والسماء متفرع على علمه واحاطته بجزئياتها وكلياتها] قَوْلُهُ تَعَالَى: وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يكون خالقاً للأرض وما فيها وللسموات وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ إِلَّا إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَا مُحِيطًا بِجُزْئِيَّاتِهَا وَكُلِّيَّاتِهَا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أُمُورٍ: أَحَدُهَا: فَسَادُ قَوْلِ الْفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ وَصِحَّةُ قَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ اسْتَدَلُّوا عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْجُزْئِيَّاتِ بِأَنْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَاعِلٌ لِهَذِهِ الْأَجْسَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَكُلُّ فَاعِلٍ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فإن لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَا فَعَلَهُ وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ بِعَيْنِهَا ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي هذا الموضع لأنه ذكر خلق السموات وَالْأَرْضِ ثُمَّ فَرَّعَ عَلَى ذَلِكَ كَوْنَهُ عَالِمًا، فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا المذهب وفي هذا المذهب وفي هذ الِاسْتِدْلَالِ مُطَابِقٌ لِلْقُرْآنِ..."[140].

–كما كان لأبي حيان مدح واعتراف بما كتبه الفخر الرازي حول تفسيره القرآن الكريم بما كان عنده من علم في علم الفلك –في سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿مسخرات بأمره ﴾ قال بعد أن اطلع على ما كتبه الرازي[141] :" وتكلم(الرازي) في قوله ﴿مسخرات بأمره ﴾ كلاما كثيرا هو من علم الهيئة، وهو علم لم ننظر فيه، قال أربابه : وهو علم شريف يطلع فيه على جزئيات غريبة من صنعة الله تعالى، يزداد بها إيمان المؤمن، إذ المعرفة بجزئيات الاشياء وتفاصيلها ليست كالمعرفة بجمليتها"[142] ، وهو تعقيب يحمل اعترافا بمقام الرازي وبعلم الفلك.

---

[138] 536/4.

[139] سورة البقرة آية 29.

[140] تفسير الرازي 130/17

[141] انظر الرازي، التفسير الكبير 124/14-128 .

[142] البحر المحيط 310/4

ومن الملاحظات المهمة التي يجب التعرض لها أن أبا حيان كان ينتقد الفخر الرازي في تفسيره الكبير ويقول عنه:" جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لاحاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير"[143]، ومن المثير فعلا والعجيب حقا أن الرازي (ت606هـ) الذي عاش قبل أبي حيان أكثر من تناولته الألسنة التي تعيب عليه التفسير باستخدام علم الفلك وغيره من العلوم العقلية، فكان رده بأن قال:"رُبَّمَا جَاءَ بَعْضُ الْجُهَّالِ وَالْحُمْقَى وَقَالَ إِنَّكَ أَكْثَرْتَ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ الله من عليم الْهَيْئَةِ وَالنُّجُومِ، وَذَلِكَ عَلَى خِلَافِ الْمُعْتَادِ! فَيُقَالُ لِهَذَا الْمِسْكِينِ: إِنَّكَ لَوْ تَأَمَّلْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَعَرَفْتَ فَسَادَ مَا ذَكَرْتَهُ، وَتَقْرِيرُهُ مِنْ وُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَأَ كِتَابَهُ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ والحكمة بأحوال السموات وَالْأَرْضِ، وَتَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكَيْفِيَّةِ أَحْوَالِ الضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ، وَأَحْوَالِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَذَكَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي أَكْثَرِ السُّوَرِ وَكَرَّرَهَا وَأَعَادَهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْبَحْثُ عَنْهَا، وَالتَّأَمُّلُ فِي أَحْوَالِهَا جَائِزًا لَمَا مَلَأَ اللَّهُ كِتَابَهُ مِنْهَا. وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: أ﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ﴾ فَهُوَ تَعَالَى حَثَّ عَلَى التَّأَمُّلِ فِي أَنَّهُ كَيْفَ بَنَاهَا وَلَا مَعْنَى لِعِلْمِ الْهَيْئَةِ إِلَّا التَّأَمُّلُ فِي أَنَّهُ كَيْفَ بَنَاهَا وَكَيْفَ خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَبَيَّنَ أَنَّ عَجَائِبَ الخلقة وبدائع الفطرة في اجرام السموات أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ وَأَكْمَلَ مِمَّا فِي أَبْدَانِ النَّاسِ...فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ لِهَذِهِ الْفَوَائِدِ وَالْأَسْرَارِ لَا لِتَكْثِيرِ النَّحْوِ الْغَرِيبِ وَالِاشْتِقَاقَاتِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْفَوَائِدِ وَالْحِكَايَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَوْنَ وَالْعِصْمَةَ"[144].

ولا مانع من الاشارة إلى أن الرازي في تفسيره: اهتم كثيرا بإدراج العلوم العقلية التي كانت في عصره وخاصة علم الفلك (الهيئة) وكمثال على ذلك مثال تفسيره للآية الكريمة 164 من سورة البقرة،﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

التي أورد فيها مادة فلكية واسعة على شكل فصول في الجزء الرابع ص 199-225 أي 26 صفحة يمكن ان تكون رسالة في الفلك ما يؤكد تضلع الرازي في علم الفلك.

رابعا: النتائج.

[143] البحر المحيط، ج1، ص 547.

[144] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج14، ص 126-127.

إن نقد أبا حيان الأندلسي للفلسفة تأتّى من مجموعة من العوامل التي ساهمت في تبنيه هذا النقد:

أولا–البيئة الثقافية الأندلسية التي نشأ فيها وتكونت فيها قناعاته الاولية والاساسية والتي وصل إليها بعد ذلك في المشرق، وبقيت راسخة، وسلطانها عليه قوي، ونفوذها فيه كبير، وقد رأينا أعلاه ان هذه البيئة كانت في عمومها شديدة التوجس من الفلسفة والعلوم العقلية، شديدة العداء لها، إلا ما كان لازما يخدم العلوم الشرعية، كالحساب والفلك، ولكن دراستها كانت في حدود التوظيف لاغير.

– إن ما كتبه أبو حيان في البحر المحيط حول الفلسفة وانتقاده لها ولرموزها ومن يوظف مسائل منها لم يصدر منه بعد مناقشة للآراء الواردة فيها تفنيدا وتصحيحا، بل كتب ابو حيان ذلك من وحي الثقافة الفقهائية التي كانت مترسخة في الاندلس منذ ان كان ابن حيان شابا في الاندلس وفر من الاندلس بسببها، وبقيت تلك الصورة ثابتة في خلده ولم يتم من قبله مراجعتها بالبحث فيها أو محاولة معرفة ما هي عليه من الاراء، وقد أشار في أحد النصوص في البحر المحيط بأنه لم يدرس الفلك ، وكان له نقد للرازي حول استفاضته في التفسير موظفا علم الفلك والنجوم.

ثانيا–تخصصه الدقيق في النحو والعربية والقراءات، وبقاؤه وفيا لها في تآليفه، وتمرسه فيها وكلها تحتاج إلى النقل، واحتفاء بأساطينها مثل سيبويه وغيره. ولم يتجه نظره إلى غيرها من العلوم العقلية

ثالثا–بعده عن دراسة العلوم العقلية والفلسفية، ونفوره منها، وعدم اطلاعه عليها، بفعل الذهنية التي قررها الفقهاء في عمق المنظومة العلمية الاندلسية وحتى المشرقية، مما جعله يملك عقلية ناقلة وليست عقلية ناقدة، يسرت له تبني مواقف الغير ونقل ما تفشى من من أرائهم وأفكارهم ومواقفهم النمطية. –

–كل هذا هذه العوامل مجتمعة كانت دافعة لابي حيان في تبيانها في تفسيره البحر المحيط في إطار التقاليد التفسيرية، ويأتي عمله في إطار المساهمة في تنبيه المسلمين من خطر الفلسفة والتحذير منها خاصة في الجانب العقائدي المتعلق بالجانب الالهي والحشر، وهي مسائل نقلها ابو حيان عن غيره، وتبناها ثم جرمها ودعا الناس إلى نبذها،

وهل ما كتبه أبو حيان يمكننا أن نعتبره نقدا للفلسفة؟ الملاحظ ان ما كتبه أبو حيان هو عبارة عن مجموعة من الانطباعات او الاتهامات نحو الفلسفة او الفلاسفة ولكن دون عرض للآراء الفلسفية ومناقشتها، فلم نتحصل على أية مادة فلسفية تمت مناقشتها وتفنيدها ومن ثم فإن ما كتبه ابو حيان حول الفلسفة يمكننا اعتباره في خانة المواقف السالفة، وإدراجه في خانة الاحكام العامة الجاهزة التي لا تستند إلى أية دراسة أو معاناة وجهد بحثي، وكشف ثم ردود وتفنيد، ونشعر بأن ابا حيان كان يعتقد جازما بكل ما هو منتشر في الثقافة الاجتماعية والفقهائية تجاه الفلسفة، ومقتنع بما كيل لها من تهم، ولا نشك في هذا

الجانب انه قرأ ذلك وسمعه على علماء كبار منهم ابن جبير صاحب الرحلة الذي اقتبس منه الابيات سالفة الذكر، والتزم رأيه في ابن رشد الحفيد، وكذا ماكتبه الغزالي في تهافت الفلاسفة حول كل من ابن سينا والفارابي[145]، وكل ذلك تكون لديه من خلال الضخ الاعلامي والتكويني الذي تلقاه عن الفقهاء في لحظات تكوينه، من خلال المؤلفات أو الشيوخ، وهو ما كانت عليه الاندلس والمشرق في عصره كما مر علينا،

-إن نقد أبا حيان للفلسفة والفلاسفة أو موقفه منها ورأيه فيها لم يكن أصيلا جاء بعد دراية وبحث ووقوف على مسائلها، وإنما كان رأيه فيها تابعا للنهج الذي طبعه الفقهاء وتناقلته الاجيال من العلماء والطلبة واصبح جزءا من الذهنية الاسلامية تجاهها،

وما يعاب على أبي حيان كونه من العلماء ولم يجهد نفسه في الاطلاع على الفلسفة في مضانها حتى يكون حكمه عليها وهلى علمائها صادقا وليس تابعا ن بل انساق بكل راحة او ارتياح إلى ما كتبه غيره دون تمحيص، فكان متبعا غير مبتدع، وتجرأ بالحكم على فلاسفة المسلمين بأحكام خطيرة دون روية فكر ولا تحقيق سليم ، وكان عليه أن يلزم نفسه عدم الدخول في قضايا لم يدرسها.

-وقد تأثر بأبي حيان الأندلسي تلميذه السبكي صاحب "طبقات الشافعية الكبرى" الذي نقل عنه نفس العبارات التي يكيل فيها الاتهام لاهل الفلسفة ، وكان شديدا عليها واعتبرها أباطيلا وجهالات، وحرم الاشتغال بها، وشدد على البعد عن دراستها إلا بعد أن يحصن الطالب نفسه بالعلوم الشرعية ويمتلئ منها، حتى لا تتسرب إليه مطاعنها وانحرافاتها، وكان يرى أن الفلاسفة المسلمين خطر على قواعد الدين، وحذر منهم، واعتبرهم أضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى، وأن العلماء مثل أبي حامد الغزالي والجويني هم الاجدر بدراستها ليردوا باطلها، ويقول في ذلك ناقلا ما كتبه ابو حيان حرفيا مع بعض التصرف :" ومنهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر الفارابي وابي علي بن سينا وغيرهما من الفلاسفة الذين **نشأوا في هذه الأمة واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم، وسموها الحكمة الاسلامية، ولقبوا أنفسهم حكماء الاسلام، وهم أحق بأن يسموا سفهاء وجهلاء من أن يسموا حكماء، إذ هم أعداء أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، والمحرفون لكلم الشريعة عن مواضيعه**، وعكفوا على دراسة ترهات هؤلاء الأقوام، **وسموها حكمة، واستجهلوا من عرى عنها، ولاتكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعمر الله إن هؤلاء لأضر على عوام المسلمين من اليهود**

[145] انظر ، الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص

والنصارى لأنهم يلبسون لباس المسلمين، ويدعون أنهم من علمائهم، فيقتدي العامي بهم، وهم لا يعتقدون شيئا من دين الاسلام، بل يهدمون قواعده، وينقضون عراه عروة عروة.

ومانتسبوا إلى الاسلام إلا* لصون دمائهم ألا تسالا**

فيأتون المناكر في نشاط* ويأتون الصلاة وهم كسالا**

فالحذر الحذر منهم "[146]

أن ما كتبه أبو حيان من موقف تجاه الفلسفة يعبر فعلا عن حالة من الاستمرارية في المجابهة التاريخية مع الفلسفة وتيارها الغالب في الحواضر الاسلامية ، وكان بالامكان ان يكون العلماء أكثر إنصافا، وأكثر فرزا وتدقيقا للمسائل المختلفة، فما كان صحيحا قبلوه وتبنوه، وما كان باطلا ناقشوه وفندوه ورفضوه، وتجاوزوه إلى آفاق علمية رحبة.

[146] السبكي معيد النعم، ص 64. يبدو أن في هذا النص الخشن وتحته خط ما هو منقول حرفيا من تفسير البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي ج6/ ص 46 والابيات مأخوذة من نفس المصدر تفسير البحر المحيط لابي حيان ج4/ ص 109. ولكن السبكي لم يشر إلى أنها قيلت في أبي الوليد بن رشد، بينما ابو حيان صرح بأنها قيلت في ابن رشد وأمثاله من المتفلسفة.